الفصل الخامس

وقفة واجبة عند علوم الحديث

- الحديث المرسل .
- التدليس .
- الجرح والتعديل .

* **مقدمة :**

لكى نتمكن من الحكم الصحيح على من روى بالشاذ ، بلا إفراط فى الاتهام ، ولا تفريط فى الدقة العلمية ، وجب علينا التوقف قليلاً عند علوم الحديث ، وبخاصة :

١ - **علم مصطلح الحديث** : لنتعرف على معنى الحديث المرسل ، وحكمه ، وحكم « مرسل الصحابى » .

٢ - **علم الجرح والتعديل** : لنتعرف على معنى الجرح ، ومعنى التعديل ، ومراتب الجرح والتعديل ، وحكم هذه المراتب .

٣ - ثم نصنف قرَّاء الشواذ على ضوء ما علمنا ، ونوضح إلى أى مدى ذهب علماؤنا من السلف الصالح إلى ترجمة مقاييسهم الرائدة التى وضعوها إلى واقع عملى ، حين طبقوها بعبقرية فذة على كل من تصدر للإقراء والقراءة والرواية لحروف القرآن ، لا يفرقون بين صحابى من الأساتذة ولا تابعى من التلامذة ، فالكل عندهم - وهم حملة الأمانة - سواء أمام « كلام الله » .

* * *

* **الحديث المرسل اصطلاحًا :**

« هو ما سقط من آخر إسناده من بعد التابعى » .

كأن يقول التابعى : قال رسول الله ﷺ كذا ، أو فعل كذا ، أو فُعِل بحضرته كذا .

وأقل هذا السقط أن يكون قد سقط الصحابى ، ويحتمل أن يكون قد سقط معه غيره كتابعى مثلاً (١) .

* **مرسل الصحابى :**

---

(١) مباحث فى علوم الحديث : مناع القطان - الناشر مكتبة وهبة ، ص ١٢١ ، وأيضا نزهة النظر : ص ٣٦ .

وهو ما يخبر به الصحابى عن شيىء فعله النبى ﷺ أو نحوه مما يُعلم أنه لم يحضره لصغر سنه ، كعبد الله بن عباس وغيره من صغار الصحابة ، أو لتأخر إسلامه .

* **حكمه :**

ذهب جمهور العلماء من المحدثين والأصوليين إلى أن مرسل الصحابى صحيح يحتج به . وهذا الرأى هو الأصوب ، لأن الصحابة جميعًا عدول .

فالظاهر فيما أرسله الصحابى أن :

- يكون قد سمعه من رسول الله ﷺ .

- أو من صحابى آخر سمعه عن النبى ﷺ .

ولذا فإن علماء أصول الحديث يعتبرون مرسل الصحابى فى حكم الحديث الموصول المسند .

أما مرسل التابعى فما دون ذلك ، فقد اختلف فيه ، هل يحتج به أم لا ؟ .

* * *

● **المدلَّس** (١) :

* **التدليس اصطلاحًا** : إخفاء عيب فى الحديث وتحسين لظاهره .

* **أقسام التدليس :**

الأول : تدليس الإسناد : أن يروى الراوى عمن لقيه ما لم يسمعه منه ، أو عمن عاصره ولم يلقه ، موهمًا أنه سمعه منه ، كأن يقول : (عن فلان) أو (قال فلان) ولا يصرح بالسماع بأن يقول : (حدثنا فلان) ، أو (سمعت) أو (أخبرنا) .

* **مثاله** : ما أخرجه الحاكم بسنده إلى على بن خشرم قال :

---

(١) السابق : ص ١٢٦ ، وتدريب الراوى : ص ١٣٩ - وعلوم الحديث : ص ٦٦ - ونزهة النظر : ص ٣٩ ، وتيسير مصطلح الحديث : ص ٧٩ .

قال لنا ابن عيينة ، عن الزهرى .

فقيل له : سمعته من الزهرى ؟ .

فقال : لا ، ولا ممن سمعه من الزهرى .

حدثنى عبد الرازق ، عن معمر ، عن الزهرى .

فابن عيينة – كما ترى – قد عاصر الزهرى ولقيه ، ولكنه لم يسمع منه ، وإنما سمع من عبد الرازق ، وعبد الرازق سمع من معمر ، ومعمر هو الذى أخذ عن الزهرى وسمع منه .

* **والفرق بينه وبين الإرسال** : أن الإرسال روايته عمن لم يسمع منه .

أما إذا صرّح بالسماع أو التحديث ولم يكن قد سمعه من شيخه ولم يقرأه عليه ؛ فإنه لا يكون مدلسًا ، بل يكون كاذبًا فاسقًا .

* **حكمه** : وقد ذم هذا القسم كثير من العلماء ، وكان شُعبة أشد الناس إنكارًا له ، ونقل عن الشافعى أنه قال : **التدليس أخو الكذب** .

* **تدليس التسوية** :

وهو : رواية الراوى عن شيخه ، ثم إسقاط راوٍ ضعيف بين ثقتين لقى أحدهما الآخر ؛ تحسينًا للحديث .

* **حكمه** : هو أحد أنواع تدليس الإسناد ، بل هو شر أنواعها .

* **رواية المدلس** :

(أ) ذهب فريق من أهل الحديث ، والفقهاء إلى عدم قبول رواية المدلس مطلقًا ، ولو لم يعرف أنه دلس إلا مرة واحدة ، كما نص عليه الشافعى ، سواء بيَّن السماع أو لم يبين .

(ب) ذهب ابن الصلاح إلى التفصيل :

فما رواه المدلس بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع والاتصال ، وكان حكمه حكم المرسل ، فيُرد ولا يحتج به .

وما رواه بلفظ صريح فى الاتصال نحو : سمعت ، وحدثنا ، وأخبرنا ، يقبل ويحتج به .

هذا وفى الصحيحين (البخارى ومسلم) وكتاب المصاحف للسجستانى وغيرها من الكتب المعتمدة الكثير من الأحاديث التى يقول فيها المدلس : حدثنا ، أو سمعت ، أو أخبرنا ، حيث جاء ذلك عن سفيان بن عيينة ، وسفيان الثورى ، والأعمش وقتادة وغيرهم .

قال ابن الصلاح : والصحيح التفصيل بين ما صرّح فيه بالسماع ، فيقبل ، وبين ما أتى فيه بلفظ محتمل فيرد .

قال : **وفى الصحيحين من حديث جماعة من هذا الضرب ، كالسفيانين، والأعمش ، وقتادة ، وهشيم (بن بشير) ، وغيرهم** [1] .

*** والقسم الثانى من أقسام التدليس هو تدليس الشيوخ :**

وهو : أن يروى الراوى عن شيخ حديثًا سمعه منه ، فيذكره بما لم يشتهر به من اسم ، أو كنية ، أو نسبة إلى قبيلة ، أو بلده ، أو صنعة ، أو نحو ذلك ، **تعمية لأمره** ، وتوعيرًا للوقوف على حاله .

*** مثاله** [2] :

قول أبى بكر بن مجاهد أحد أئمة القرَّاء (ومسبع السبعة المتواترة) :

« حدثنا عبد الله بن أبى عبد الله » ...

يريد بـه : أبا بكـر بن أبى داود السجستانى (صاحب كتاب المصاحف) .

*** حكمه :**

---

(١) السابق : ص ١٢٨ .

(٢) السابق : ص ١٢٩ .

تدليس الشيوخ كراهته أخف من تدليس الإسناد ، لأن المدلس لم يسقط أحداً ، وإنما كانت الكراهة بسبب صعوبة معرفة المروى عنه لدى السامع .

* * *

**** الجرح والتعديل :**

*** الجرح اصطلاحًا :**

هو ظهور وصف فى الراوى يثلم عدالته ، أو يخل بحفظه وضبطه ، مما يترتب عليه سقوط روايته ، أو ضعفها وردها .

*** والتجريح :**

هو وصف الراوى بصفات تقتضى تضعيف روايته ، أو عدم قبولها .

*** والعدل اصطلاحًا :**

هو مَن لم يظهر فيه ما يخل بدينه ومروءته ، فيقبل لذلك خبره وشهادته .

*** والتعديل :**

هو وصف الراوى بصفات تزكيه ، فتظهر عدالته ، ويُقبل خبره .

*** وعلم الجرح والتعديل :**

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم **بألفاظ مخصوصة** لقبول رواياتهم أو ردها (١) .

*** مراتب الجرح والتعديل :**

يقول ابن مجاهد (٢) : « وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشتبه عليه الحروف (وجوه القراءات) ، فيقرأ بلحن (وجه من وجوه القراءة غير المروية عن السلف) لا يعرفه ، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره ويبرىء نفسه ، وعسى أن يكون عند الناس مصدَّقاً فيحمل ذلك عنه ، وقد نسيه ووهم فيه

---

(١) السابق : ص ٦٥ ، ومقدمة كتاب الجرح والتعديل : لابن أبى حاتم الرازى : ١/٣ .

(٢) السبعة : ص ٤٦ .

وجسر على لزومه والإصرار عليه » أ . هـ .

وقد نص العلماء على مراتب الجرح والتعديل ، والالفاظ الدالة على كل مرتبة ، فجعلوا مراتب التعديل ستًّا ، ومراتب الجرح ستًّا .

* **مراتب التعديل :**

المرتبة الأولى : تكون بما دل على المبالغة فى التعـديل ، أو كان على وزن « افعل » التفضيل .

مثل : فلان إليه المنتهى فى التثبت .

أو : فلان أثبت الناس .

أو : أوثق الناس .

أو : أضبط الناس .

المرتبة الثانية : تكون بما تأكد توثيقه بصفة من الصفات الدالة على العدالة والتوثيق ، سواء أكان ذلك باللفظ ، أو بالمعنى .

مثل :

ثقة ثقة ..... أو : ثقة ثبت ..... أو : ثقة مامون ..... أو : ثقة حافظ .

المرتبة الثالثة : تكون بما يدل على التوثيق من غير توكيد .

مثل :

ثقة ..... أو : ثبت ..... أو : حجة ..... أو : متقن .

المرتبة الرابعة : تكون بما يدل على التعديل والتوثيق دون إشعار بالضبط والإتقان .

مثل :

صدوق ..... أو : مامون ..... أو : محله الصدق ..... أو : لا بأس به .

المرتبة الخامسة : تكون بما ليس فيه دلالة على التوثيق أو التجريح (بين بين) .

مثل :

فلان شيخ ..... أو روى عنه الناس ..... أو حسن الحديث .

المرتبة السادسة : تكون بما يُشعر بالقرب من التجريح .

مثل :

فلان صالح الحديث ..... أو يكتب حديثه .

*** حكم مراتب التعديل :**

(أ) المراتب الثلاث الأولى : يحتج بأهلها ... وإن كان بعضهم أقوى من بعض .

(ب) المرتبتان الرابعة والخامسة :

* لا يحتج بأهلها ... ولكن :

* يكتب حديثهم .

* ويختبر ضبطهم :بعرض حديثهم على أحاديث الثقات الضابطين ، فإن وافقهم احتج بحديثهم وإلا فلا .

(جـ) المرتبة السادسة :

* لا يحتج بأهلها .

* ويكتب حديثهم للاعتبار فقط .

* ولا يختبر حديثهم ، وذلك لظهور أمرهم فى عدم الضبط .

*** مراتب الجرح :**

المرتبة الأولى : تكون بما دلَّ على التليين – وهى أسهلها فى الجرح .

مثل :

فلان لين الحديث ..... أو : فيه مقال ..... أو : فيه ضعف .

المرتبة الثانية : تكون بما يدل على تضعيف الراوى وعدم الاحتجاج به .

مثل :

فلان لا يحتج به ... أو : ضعيف ... أو : له مناكير ... أو : مجهول .

المرتبة الثالثة : تكون بما يدل على ضعفه الشديد وعدم كتابة حديثه .

مثل :

فلان ضعيف جدًا ... أو : واه بمرة ... أو : لا يكتب حديثه ... أو : لا تحل الرواية عنه ... أو : ليس بشيء .

المرتبة الرابعة : تكون بما يدل على اتهامه بالكذب أو الوضع ونحوه .

مثل :

فلان متهم بالكذب ... أو : متهم بالوضع ... أو : بسرق الحديث ... أو : ساقط ... أو : متروك ... أو : ليس بثقة .

المرتبة الخامسة : تكون بما يدل على وصفه بالكذب أو الوضع ونحوه .

مثل :

كذاب ... أو : دجال ... أو : وضاع ... أو : يكذب ... أو : يضع .

المرتبة السادسة : تكون بما يدل على المبالغة فى الكذب – وهى أسوأ مراتب الجرح .

مثل :

فلان أكذب الناس ... أو : إليه المنتهى فى الكذب ... أو : هو ركن الكذب .

* حكم مراتب الجرح :

(أ) الأولى والثانية :

* لا يحتج بحديثهم .

* يكتب حديثهم للاعتبار فقط .

وأهل المرتبة الثانية دون أهل المرتبة الأولى بالطبع .

(ب) المراتب الأربع الأخيرة :

* لا يحتج بحديثهم .

* ولا يكتب .

* ولا يعتبر به [1] .

---

(١) مباحث فى علوم الحديث : ص ٧١ – ٧٣ ، وتدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى : للسيوطى – المكتبة العلمية ص ٢٢٩ – ٢٣٣ ، وتيسير مصطلح الحديث : د . محمود الطحان ص ١٥٢ – ١٥٤ .

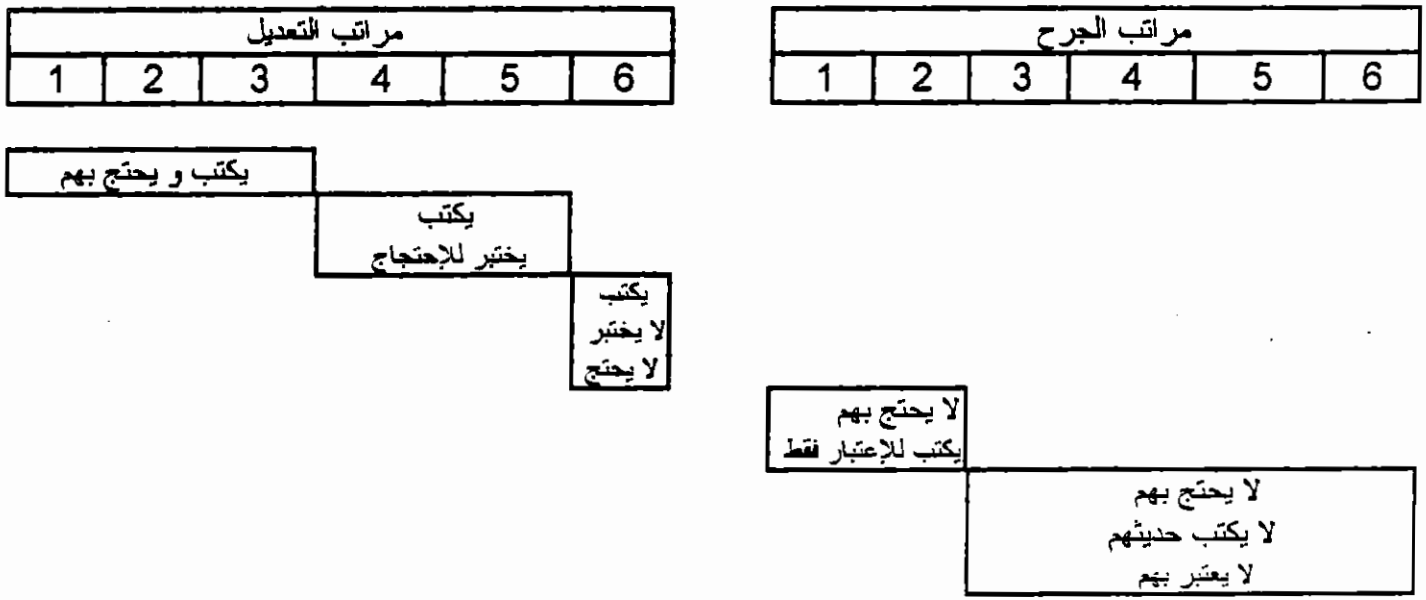

شكل (أ) يوضح حكم مراتب الجرح و التعديل

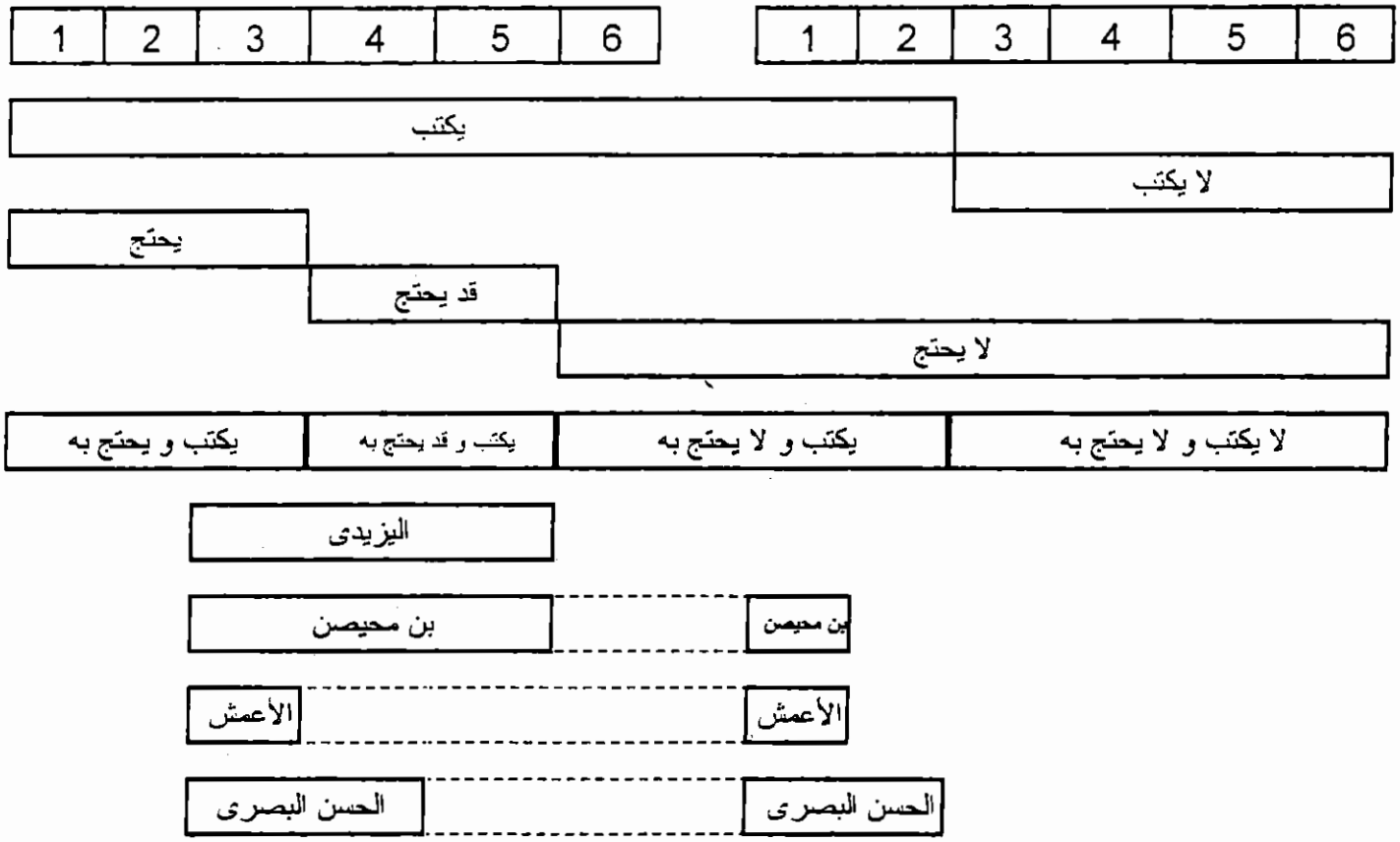

شكل (ب) يوضح حكم القراء بالقراءات الأربع الشاذة بعد العشرة على ضوء مراتب الجرح و التعديل

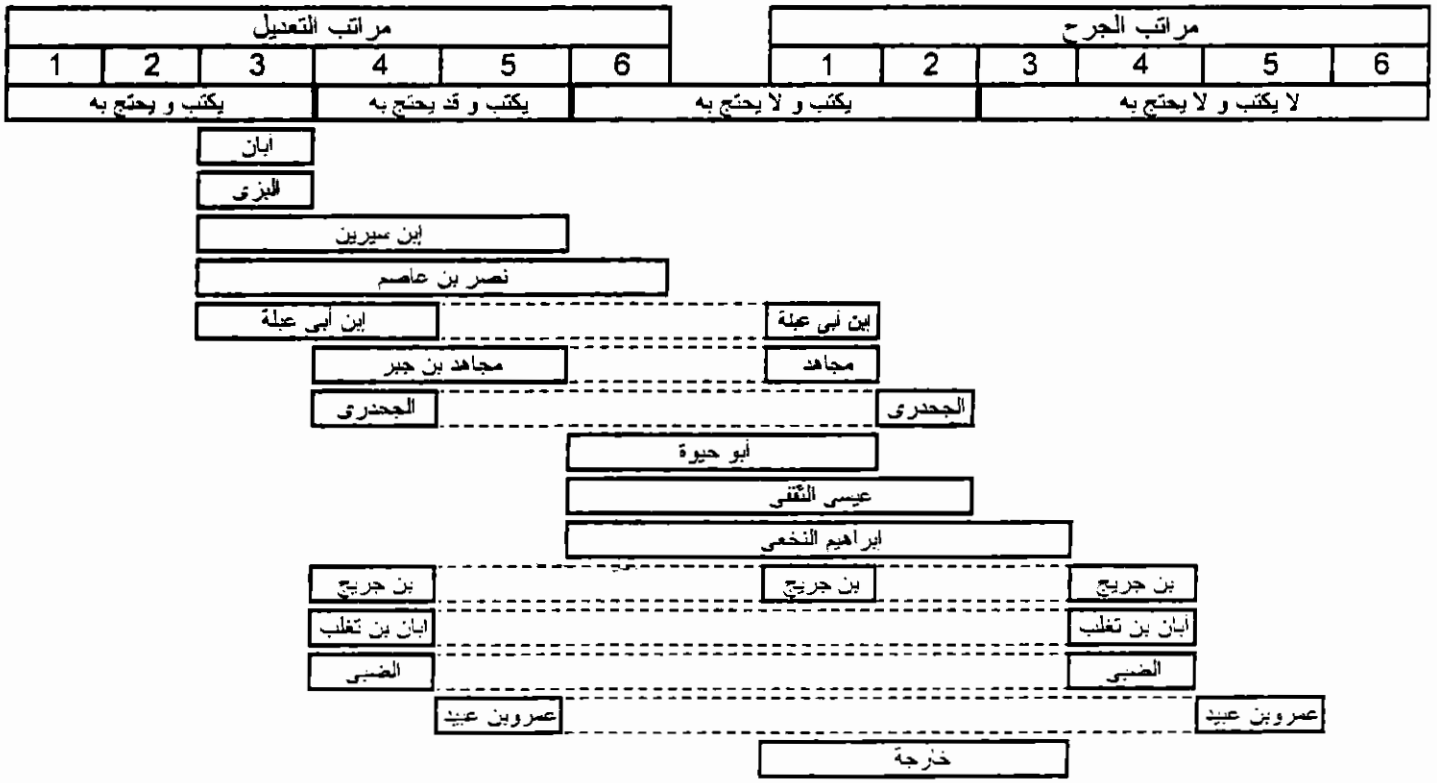

شكل (ج) يوضح حكم بعض من قرأ بالأحرف الشاذة خارج القراء الأربعة عشر على ضوء مراتب الجرح و التعديل

* تعقيب :

** من اشتهر بالتدليس : الأعمش والحسن البصرى :

ويبدو أن علماء الجرح والتعديل قد تعارفوا على أن التدليس مرتبة خفيفة من مراتب الجرح ، ولعلهم اعتبروه نوعًا من « التجمل » فغفروا ذلك ، باستثناء قلة منهم مثل الإمام الشافعى الذى اعتبر التدليس أخو الكذب – وكما ذكرنا .

* والأعمش هو رأس مدرسة الإقراء بالكوفة ولاشك ، أخذ حرف ابن مسعود عن يحيى ابن وثاب الذى أخذها عن تلامذة ابن مسعود من أمثال : علقمة والأسود والسلمانى ومسروق وزيد وغيرهم .

وقراءة الأعمش هى جذع قراءة حمزة والكسائى من السبعة ، وخلف العاشر . ولم يشذوا عن اختياره إلا فى حروف قليلة .

* أما الحسن البصرى ، فهو مؤسس مذهب المعتزلة – وإن نسب لغيره . وقدا اجتمع القرّاء الأربعة عشر على الأخذ بأصول قراءته بدرجات متفاوتة وإن هجروا جميعهم فرش حروفه بطريقة ملفتة للنظر .

أما عن إعراضهم عن فرش حروفه فهو أمر ليس بالمستغرب ، ولكن ما يستحق الدراسة بحق هو التفافهم (باستثناء الحجازيين) حول أصول قراءته ، **وهى جديرة بأن تكون « نقطة بحث » لأحد باحثينا ممن يستهويهم حقل القراءات واللغة العربية .**

** من اشتهر بأن له اختيار خالف فيه العامة :

– ابن محيصن ، ومجاهد بن جبر .

– عيسى بن عمر الثقفى النحوى البصرى .

– أبو حيوة ، وابن أبى عبلة .

* أما **مجاهد بن جبر** ، فهو تلميذ ابن عباس وأستاذ قارئى مكة ،

ابن كثير من السبعة وابن محيصن من الأربعة عشر . وعنهما أخذ أبو عمرو مقرىء البصرة من السبعة جذع حروف قراءته . فأخذ أبو عمرو من ابن كثير فرش حروفه دون أصولها ، ولكنه أخذ عن ابن محيصن الفرش والأصول معًا ، فجاء ترتيب ابن محيصن بالنسبة لأبى عمرو فى الركن الثانى ، فرشًا بعد ابن كثير ، وأصولاً بعد الحسن البصرى .

ومجاهد بن جبر يكاد يكون نسخة طبق الأصل من أستاذه الصحابى الجليل ابن عباس . وقد اشتهر عنه إدخال الإسرائيليات فى التفسير (١) .

* **وأما ابن محيصن** : فإنه كان المنافس الأوحد لابن كثير على الإقراء بمكة .

وكان أستاذه مجاهد بن جبر يقول إنه يبنى ويرصص فى العربية ، يمدحه بذلك . إلا أن الناس (فى مكة) هجروا قراءته إلى قراءة منافسه ابن كثير الذى اشتهر أنه يميل للاتباع فى الرواية مما يوحى بالثقة .

ولكن يبدو أن أهل البصرة كان لهم رأى آخر فى اختيار ابن محيصن ، فقد أخذ عنه الحروف فرشًا وأصولاً قرَّاء البصرة أبو عمرو (من السبعة) ، وتلميذه اليزيدى (من الأربعة عشر) ، ويعقوب (من العشرة) .

من هنا يمكننا القول بأن ابن محيصن السهمى – وإن كان قد خسر جولة فى صراعه مع ابن كثير فى مكة – فقد كسب المعركة وفرض نفسه على قرَّاء البصرة ووجد لنفسه مكانًا يستحقه بين الأربعة عشر .

*** ويبقى لنا « رجاء ونداء » إلى العالمين ببواطن الأمور فى عالم القراءات أن يتفضلوا علينا بتسليط المزيد من الأضواء على المعنى الكامن وراء التعبير الاصطلاحى الشائع : « له اختيار » ... وإلا فإن السكوت عن إظهار ما يعلمونه من الحق يمكن أن يفسر على أنه نوع من « التجمل » ، ليس بمعنى التدليس بطبيعة الحال .**

---

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث : د . محمد حسين الذهبى .

* **أما عيسى الثقفى** : فيكاد يكون الوحيد الذى سلطت الأضواء على سبب استنكار الناس لقراءته ، فقالوا فى ذلك :

« غير أنه كان له اختيار فى القراءة على مذاهب العربية يفارق قراءة العامة . ويستنكره الناس .

وكان الغالب عليه : **حب النصب** إذا وجد لذلك سبيلاً » .

وهو سبب مقنع للغاية .

ولنتذكر أنه كان قد عرض – فيمن عرض عليهم – على الحسن البصرى ، الذى انصرف الناس عن فرش حروفه إلى أصوله فى القراءة ، كما ذكرنا .

وحب النصب يصب فى الفرش ، ولا علاقه له بالأصول .

فلعله كان يحاول التشبه بأستاذه البصرى على نحوما ، مستغلاً فى ذلك أنه كان معلمًا للنحو ومؤلفًا فيه ، ولكنه فشل – فيما يبدو – فى أن تشكل اختياراته مذهبًا متميزًا يلقى القبول ، فهجرت قراءته .

فإذا كان « حب النصب » هو السبب فى استنكار الناس لقراءة عيسى البصرى الثقفى ، **فما هى الأسباب وراء انصراف الناس عن اختيار فرش الحروف عند أستاذه الحسن البصرى ؟ .**

وما هى الأسباب وراء انصراف الناس عن قراءة ابن محيصن ؟

ومن المقصود على وجه التحديد « بالناس » الذين رغبوا عن حروف ابن محيصن ، هل هم أهل مكة ؟ .

ومن المقصود بالعامة ؟ هل هم عامة القرّاء المشتغلين بالإقراء ؟ أم هم عامة الناس ؟ .

**** التدليس بين المفهوم الاصطلاحى والمفهوم الشائع :**

هناك فجوة – ليست بالهينة – بين المفهوم الاصطلاحى وبين المفهوم الدارج لبعض المصطلحات المستخدمة فى علم الجرح والتعديل ، مما يشكل – حتمًا – نوعًا من الالتباس لدى غير المتخصصين ، فيورثهم ذلك خللاً فى حكمهم على

ما ورد بتراثهم العظيم ، ومن ثم خللاً فى التمييز بخاصة والتفكير بعامة فى أمور دينهم ودنياهم على السواء ، مما ينبغى التصدى له بالجهد والاجتهاد فى طرح الحلول لتدارك تلك المشكلة .

إن كلمة « تدليس » :

١ – « لا تعنى الكذب » عند الجمهور من الفقهاء ، والمحدثين والأصوليين .

٢ – وهى تعنى : « أخو الكذب » عند الشافعى (رحمه الله) .

٣ – وهى تعنى : أكثر من الكذب بكثير عند عامة الناس ورجل الشارع . ذلك أنها كلمة موحية بالكثير من المعانى التى قد تدور حول النفاق أو الدجل أو الخيانة أو الخداع أو الاعوجاج والالتفاف أو التمويه أو الاحتيال أو التعتيم .. إلخ .

ومن هنا ، فإنه ظلم كبير لأئمة ثقات مثل الأعمش والحسن البصرى أن نترك سيرتهم العطرة ، وأعمالهم الجليلة فى خدمة كتاب الله نهبا لتلك التداعيات من المعانى التى ترد إلى أذهان القرَّاء – طوعًا أو كرهًا – عندما تقترن أسماؤهم الرفيعة بصفة « التدليس » ، عارية مجردة تثير الالتباس وتوهم بغير الحق .

والأخطر من ذلك الظلم الكبير لسيرة أئمتنا الأجلاء من حملة القرآن ، ذلك الظلم الأكبر والجناية الأعظم التى ترتكب فى حق « العقل العربى المسلم » .

إذ ماذا تنتظرون من عقل رشيد مميزٍ أن يتقبل الأضداد التالية للحكم على واحد :

١ – حافظ ، ثقة ، ثبت ..... لكنه مدلس .
٢ – أحد الأئمة فى حروف القرآن ..... لكنه رمى بالقدر .
٣ – قال ابن معين : « ومع هذا ... فاحتج به أصحاب الصحاح » .

كل هذا التناقض ورد بصدد التعريف بـ « قتادة » [1] بإسناده .

والأمثلة غير ذلك تفوق الحصر .

وأنا لا أحمل علماءنا المعاصرين فوق ما يطيقون ، ولكن ألفت النظر إلى أن استمرار الأمور على هذه الوتيرة لا يبشر بخير فى زمن كثر فيه المتربصون . ولا أعتقد أنه من الحكمة أن نداوها بالتى كانت هى الداء ، فنلجأ إلى التدليس نعالج به آثار « التدليس » ، أو نمحو به صفة التدليس عمن اشتهروا بها ، وإلا أصبح مثلنا كمثل النعامة التى تخفى رأسها فى الرمال حتى لا يدهمها الخطر القادم حتما ، وهو مداهمها على أى حال .

لقد سبق السيف العذل ، وأتى أمر الله ، وأصبح من رابع المستحيلات طمس أية حقائق فى عصر « الكمبيوتر وشبكات الإنترنت » ، ولم يبق أمامنا سوى خيار « المواجهة » ، و « المكاشفة » ، ولا أقول « التنوير » فلقد كرهتها حيث أصبحت كلمة حق يراد بها باطل ، مثلها فى ذلك مثل « المسجد الضرار » .

ولكننا نأبى الدنية فى ديننا الحنيف ، فلا يوجد فيه ما يستدعى الإخفاء أو التمويه أو التجمل أو المداراة أو التدليس . إنه دين الحق ، والحق نور يضىء ما حوله وليس ضبابًا يحول دون الرؤية الثاقبة .

والحل أن يجتهد علماؤنا ، فيتناولوا مثل هذه الأمور المشتبهات بالعرض الواضح والتفسير المقنع . وأن تمتلىء المكتبات والمناهج الدراسية ، وتجلجل الإذاعة المسموعة والمرئية بالعرض الأمين الرشيد للجانب المضيىء وغير المضيىء أيضًا من تراجم الأئمة . والأئمة بشر وليسوا ملائكة . والبشر يخطىء ويصيب ، ولا عصمة إلا لنبى .

---

(١) أنظر : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث : د . عبد الصبور شاهين ، فهرس تراجم الرجال : ص ٤٤٥ .

*** أبى بن كعب (رضى الله عنه) أحد ضحايا التعتيم :**

ومن الغريب ، أنك لا تجد حتى الآن كتابًا عن سيرة الصحابى الجليل أبى بن كعب ، كاتب الوحى ، الذى حفظ كتاب الله من فم الرسول ﷺ آية آية ، وعرض عليه الرسول ﷺ ليعلمه أصول التلاوة والترتيل .

فإذا ما وقع فى أيدينا بعض الأحاديث المتناثرة عنه فى هذا الكتاب أو ذاك مثل كتاب : حياة الصحابة للكندهلوى (١) ، وجدنا ما لا يسرنا .

فهذا حديث أو أكثر يشير إلى علاقة « بالجن » .

وذاك حديث أو أكثر ترميه - رضى الله عنه - بالنفعية والارتزاق بإقراء القرآن إلى الجد الذى جعل النبى ﷺ يتوعده بجهنم ، وجعل عمر بن الخطاب يتندر عليه .

وأحاديث تشير إلى خوفه وارتعاده لأسباب لا توجب ذلك بما يوحى بمرض نفسى معروف هو « الرهاب » .

ولم نجد أحدًا حتى الآن ، تصدى لمثل هذه الافتراءات ، يرد غيبة هذا الإمام الجليل الذى إليه تنتهى قراءة القرآن باتفاق ، فيكتب الحديث ، ويخرجه ويختبره على مقاييس الجرح والتعديل سندًا ومتنًا ، ويورد من الأحاديث ما يعارضه ، ثم يفصل برأيه واجتهاده .

والمصيبة أنك تجد العكس هو الحاصل . فمن الجماعات الحالية التى تقوم على الدعوة والتبليغ من يتعبد ويجمع البسطاء من الناس فى مجالس الذكر على كتاب « حياة الصحابة » (٢) المشار إليه آنفًا ، يردد ما فيه على أنه دين الله الحنيف ، ويتمايل البسطاء نشوة وهم يتنفسون هذا الهراء ، ويعتقد دعاتهم

---

(١) حياة الصحابة : لمحمد يوسف الكاندهلوى .

(٢) راجع الأحاديث التى وردت به عن أبى كعب : ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٠٨ - ٩٠ ، ج ٣ ص ٣٨٤ ، ج ٤ ص ٣٨ - ٧٧ - ٨٢ - ١٥٨ - ٣٧٤ - ٤٠٩ ، ومعظمها من طبقات ابن سعد .

وهم من غير المتخصصين ولا المتفقهين أنهم بذلك يدعون لدين الله فى الأرض ، فضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

والغريب أن هذه الفئة – ومن على شاكلتها – هم الذين تفتح لهم الأبواب على مصراعيها ، ويتمتعون – دونًا عن غيرهم – بحرية الرأى وحرية الاجتماع وحرية التنقل . ليس ذلك فقط ، بل وتكلل جهودهم بالمباركة فى كل وقت وحين !! . . .

فهل هذا هو اختيار العقل المسلم الآن ؟

وأين هذا من اختيار السلف – كما أوردناه ؟

وهل مازلتم – بعد هذا – تبحثون عن سبب هوان الأمة ؟

إن من يتخلى عن عقله ، يكون قد تخلى عن دينه . . . أفلا تعقلون ؟ .

* * *